الحسين بن المبارك الزَّبيـــدي وروايته لصحيح البخاري في بلاد الشام

أ.د. صالح مهدي عباس
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

يتكون هذا البحث من ثلاثة محاور رئيسة هي:
المحور الأول: صحيح البخاري وقد تناولت فيه:

١ -حياة الإمام البخاري وسيرته.
٢ -الاسم الكامل لصحيح البخاري.
٣ -ترتيب الصحيح وشروطه.
٤ -شروح صحيح البخاري واهم تلك الشروح.
٥ -كتب رجال البخاري، أو رجال البخاري ومسلم معا.

والمحور الثاني: أسرة آل الزَّبيدي
وقد دخلت هذه الأسرة إلى بغداد في سنة تسع وخمسمائة بشخص عميدها الفقيه الواعظ محمد بن يحيى بن علي القرشي الرَّبعي اليمني الزَّبيدي مع أفراد عائلته، وأولاده وكان منهم المبارك والد سراج الدين الحسين بن المبارك الزَّبيدي راوي صحيح البخاري في بغداد والشام.

وقد فصلت القول في:
١ -حياته ومؤلفاته.
٢ -ورحلته إلى بلاد الشام ورواية صحيح البخاري.
٣ -وشيوخه لرواية صحيح البخاري.

والمحور الثالث: السامعون لصحيح البخاري برواية الحسين بن المبارك الزَّبيدي في بلاد الشام:
كان أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزَّبيدي واحدا من ثلاثة علماء تصدَّروا لرواية صحيح البخاري ببغداد في وقت واحد، وقد تم اختياره لرواية صحيح البخاري في دمشق لعلو إسناده، إذ لم يكن بينه وبين الإمام البخاري سوى أربعة رجال فقط، وهو إسناد عال جدا قلَّ نظيرُه في الأسانيد الأخرى.
وقد سمع الناس هذه الرواية من الزَّبيدي زاد عددهم على (160) طالبا ممن وقفت على تراجمهم، وذلك في سنة 630هجرية عند مقدمه لدمشق.

واستطعت انتقاء ثلاثة من هؤلاء السامعين، وقد تصدروا – فيما بعد – لرواية صحيح البخاري بسندهم عن أبي عبد الله الزَّبيدي، وهم:
١ ـ العلامة شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن احمد المقدسي (ت682هـ).
٢ ـ الشيخة ست الوزراء وزيرة بنت عمر بن اسعد التنوخية (ت716هـ).
٣ ـ الشيخ شهاب الدين احمد بن أبي طالب الحجار ابن الشحنة (ت730هـ).

المحور الأول: صحيح البخاري

الأول: حياة الإمام البخاري وسيرته:

هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ الجُعْفِي مولاهم، البخاري[1].

ولد في يوم الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومئة من الهجرة الشريفة في مدينة بخارى.

حَفِظَ الحديث وهو دون العاشرة من عُمُرِهِ، فضلا عن حفظ تصانيف بعض الأئمة، واخذ عن شيوخ بخارى وقرأ عليهم، وانخرط في حلقاتهم الدراسية. ولما بلغ السادسة عشرة من عمره أَدَّى فريضة الحجَّ، وقصد شيوخ الحديث بمكة المكرمة والمدينة المنورة. ثم رحل إلى الديار المصرية ومنها قصد بغداد والبصرة والكوفة وبلاد الشام طلبا للعلم والأخذ عن أعلام الحديث النبوي الشريف، فكتب عن أكثر من ألف شخص، كان منهم:

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجُعْفِي المُسْنِدي(ت229هـ)، ومحمد سَلام البِيْكَنْدِي(ت 225هـ)، وابو جعفر محمد بن عيسى بن الطباع(ت 224هـ)، وعبد الرحمن بن حماد الشُّعيْثي البصري(ت212هـ)، وعُبيد الله بن موسى الكوفي(ت 213هـ) ، وخالد بن يزيد الكوفي المقرئ(ت 215هـ)، وأيوب بن سليمان بن بلال(ت 224هـ) من المدينة المنورة، وخلاد بن يحيى الكوفي المكي (ت212هـ) بمكة المكرمة، وبالشام من آدم بن ابي إياس الخراساني (ت 220هـ) ، ومحمد بن يوسف الفريابي(ت 212هـ) ، وبمصر من سعيد بن ابي مريم (ت224هـ). وغيرهم.

ولما يتمتع به من قوَّة الحفظِ والذَّكاء، فقد استطاع أن يحفظ مئة ألف حديث صحيح. وقد شهد له العلماء بعلوَّ المنزلة العلمية، فذاع صيتُه، وتناقلَ الناس إخباره، وانتشرت شهرته في البلاد الإسلامية.

توفي الامام البخاري (رحمه الله تعالى) في الثلاثين من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومئتين في مدينة خَرْتَنْك القريبة من بخارى ودفن فيها.

الثاني: الاسم الكامل لصحيح البخاري:

إنَّ الاسمَ الذي وضعه المؤلف لكتابه هو: (الجامع الصحيح المُسْنَدُ المُخْتَصَرُ من أمور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسُنَّتِهِ وأَيَّامِهِ)[2].

ويعد هذا الكتاب اصح كتاب بعد القرآن الكريم عند جمهور المحدَّثين، وقد ذهب بعض علماء المغرب والأندلس إلى تقديم صحيح مسلم وتفضيله على صحيح البخاري[3] وقد سبقهم إلى ذلك عدد من علماء المشارقة منهم: أبو حاتم الرازي محمد ابن إدريس الحنظلي (ت 277هـ) وأبو زُرْعة الرازي عُبيد الله بن عبد الكريم (ت 264هـ) وأبو علي النيسابوري الحسين بن علي بن يزيد (ت349هـ)[4].

وقد أكد هذا أيضا الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين – وهو من الباحثين المُحْدَثين – بقوله: "أن كثيرا من الدوائر تُفَضَّلُه (صحيح مسلم) على كتاب البخاري، وإذا قارنا اليوم هذا الكتاب بكتاب البخاري- وفق ضوابط علم الحديث ومعاييره- مقارنة نقدية يثبت لنا انه يفضل كتاب البخاري، فهو كامل الأسانيد، واضح البناء، منطقيّ في ترتيب مواده، موفق في اختيار مصادره" [5].

وقد انتقى البخاري صحيحه من ستمائة ألف حديث، ولاشك أن معظم هذه الأحاديث كانت مدونة في كتب المسانيد والمصنفات الحديثة الأخرى التي دونها علماء القرن الثاني الهجري، وسمعها البخاري من شيوخه بأسانيدهم إلى مصنفيها، وقد مكث في تصنيفه ست عشرة سنة[6].

وقد اقتصر فيه على الحديث الصحيح- وهو أول من افرد الصحيح- لكنه لم يستوعب الصحيح كله، فقد صرح بأن ما تركه من الحديث الصحيح أكثر مما اثبت لئلا يطول الكتاب[7].

ومن تسمية البخاري لكتابه يعلم من قوله: "الجامع" انه يجمع الأحكام والفضائل، والأخبار عن الأمور الماضية والآتية ويجمع الآداب، وغير ذلك.

و"الصحيح" انه احترز عن إدخال الضعيف في كتابه، وقد صَحَّ عنه انه قال: "ما أدخلت في الجامع ألا ما صح".

و"المُسْنَدُ": أن مقصوده الأصلي تخريج الأحاديث المُتصل إسنادها بالصحابة إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول، أو فعل، أو تقرير[8].

الثالث: ترتيب الصحيح وشروطه:

لقد رتب البخاري أحاديث صحيحه على الموضوعات والأبواب، وفيه من الفوائد الفقهية، والنكات الحكميَّة المستخرجة من المتون معان كثيرة فرَّقها على أبواب الكتاب بحسب تناسبها مما ييسر للفقهاء وطلابهم الرجوع إليها، والاستنباط منها[9].

واشترط البخاري في صحيحه أن تكون رواته ممن اشتهروا بالعدالة والضبط والاتقان، ولم يكتف بأن يعاصر الراوي من يروي عنه، بل اوجب ثبوت

لقائه ولو مرة واحدة. ومن هنا قال العلماء: للبخاري شرطان: شرط المعاصرة وشرط اللقاء، وهو بخلاف شرط مسلم الذي اشترط المعاصرة دون اللقاء[10]
وجميع ما في صحيح البخاري من أحاديث بلغت (9082) حديثا، بما فيه من أحاديث مكررة، اختارها البخاري من زهاء ستمائة ألف حديث[11].

الرابع: شروح صحيح البخاري، وأهم تلك الشروح:

حظي صحيح البخاري بعناية كبيرة من العلماء في سائر العصور والأمصار فاهتموا بشرحه، وتفاوتت تلك الشروح بين الاختصار والإطالة، حتى زادت على اثنين وثمانين شرحا[12] نذكر منها:

١ - أعلام السنن- لأبي سليمان احمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (ت386هـ/996م).
٢ - شرح العلامة ابي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك الشهير بابن بطال القرطبي المالكي (ت449هـ/1057م).
٣ - شرح الامام نجم الدين ابي حفص عمر بن محمد النَّسفي الحنفي (ت537هـ).
٤ - شرح مشكل البخاري- للشيخ المقرئ والمؤرخ محمد بن سعيد بن يحيى ابن الدبيثي الواسطي (ت637هـ/1239م).
٥ - شرح العلامة اللغوي المحدّث رضي الدين الحسن بن محمد الصَّغَّاني الحنفي (ت650هـ/1252م).
٦ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح- للشيخ العلامة النحوي جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني (ت672هـ/1273م).
٧ - البدر المنير الساري في الكلام على البخاري- للعلامة قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي الحنفي (ت735هـ/1336م).
٨ - شرح العلامة الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج البكجري الحنفي (ت762هـ/1361م).
٩ - شرح الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ/1373م).
١٠ - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري- للشيخ محمد بن يوسف بن علي الكرماني (ت787هـ/1384م). (مطبوع)
١١ - التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح- للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت794هـ/1391م).
١٢ - الإفهام لما في صحيح البخاري من الإبهام- للشيخ عبد الرحمن بن رسلان البلقيني (ت824هـ/1421م).

١٣ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري- للحافظ شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م). (مطبوع).
١٤ - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري- للعلامة بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد العيني الحنفي (ت855هـ/1451م) (مطبوع).
١٥ - إرشاد الساري الى صحيح البخاري- للشيخ شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي بكر القسطلاني (ت923هـ/1517م). (مطبوع).

وتعد الشروح الثلاثة الأخيرة من أهم شروح صحيح البخاري وأكثرها فائدة، وأوسعها تفصيلا وحلا لمشكلاته وإبانة لألفاظه، وتوضيحا لمعانيه..... وهي مطبوعة مشهورة.

الخامس: كتب رجال البخاري، أو رجال البخاري ومسلم معا:

أما الكتب التي صنفها العلماء في أسماء رواة صحيح البخاري وحدهم أو مضافا أليهم أسماء رواة صحيح مسلم، فكثيرة، منها:

١ -أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري- للشيخ ابي احمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت365هـ) (مطبوع).
٢ -ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم- للعلامة ابي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت385هـ) (مطبوع).
٣ -رجال صحيح البخاري- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد- للشيخ ابي نصر احمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي (ت398هـ) (مطبوع).
٤ -تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم وما انفرد كل واحد- لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ) (مطبوع).
٥ -رجال البخاري ومسلم- للشيخ هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت 418هـ) لم يصل ألينا.
٦ -التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح- لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ) (مطبوع).
٧ -الجمع بين رجال الصحيحين- للشيخ محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني (ت507هـ) (مطبوع).
٨ -المعلم بأسامي شيوخ البخاري ومسلم- للشيخ محمد بن إسماعيل بن خلفون الأندلسي (ت636هـ) (مطبوع).
٩ -رجال البخاري ومسلم – للشيخ احمد بن احمد بن الحسين بن موسى الهَكَّاري (ت763هـ)
١٠ - غاية المرام في رجال البخاري إلى سيد الأنام- للشيخ محمد بن داود بن محمد البازلي (ت925هـ) طبع القسم الثاني منه.

المحور الثاني : أسرة آل الزبيدي

الأول: أصل هذه الأسرة وعلماؤها:

يبدأ تاريخ آل الزبيدي في العراق بدخول عميد هذه الأسرة الشيخ الفقيه الواعظ ابي عبدالله محمد بن يحيى بن علي بن المسلم القرشي الربعي اليمني الزبيدي إلى بغداد في سنة تسع وخمسمائة مع زوجته وبعض أولاده . ويبدو أن دخولهم إلى بغداد كان بعد أداء فريضة الحج وذهابهم إلى بلاد الشام ومن ثم عودتهم إلى بغداد [13].

وفي بغداد بدأت هذه الأسرة مسيرتها العلمية على يد عميدها الفقيه محمد بن يحيى بن علي الزبيدي الذي عين واعظا لبغداد فراج سوقه عند الوزير عون الدين ابي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني (ت 560هـ) لما اتصف به من قول الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....[14] .

ثم تلاحق أولاده الخمسة فانتظموا في حلقات الدرس والسماع التي ازدحمت بها مساجد بغداد ومدارسها حتى عظم شأنهم وعلت منزلتهم،وتصدروا للتدريس في بغداد ، وقد أنجب هؤلاء الأبناء مجموعة طيبة من الأولاد ساروا على نهج آبائهم وسلكوا طريق العلم والمعرفة حتى تكاثروا وكبرت بهم هذه الأسرة التي بلغت واحدا وعشرين عالما ، واثنتين من النساء العالمات ، فأصبحت هذه الأسرة واحدة من الأسر العلمية البغدادية كآل البزوري ، وآل الجوزي ، وآل الدامغاني ، وآل سكينة ، وآل الجيلي ، وآل السهروردي ،وغيرهم . واستمرت هذه الأسرة ستة أجيال ببغداد تؤدي إسهاما علميا واضحا في علوم الفقه والحديث النبوي الشريف والعربية والقراءات وأصول الفقه فضلا عن القضاء والوعظ . وأفراد هذه الأسرة هم:

١ - محمد بن يحيى بن علي بن المسلم الزبيدي (ت555هـ) .
٢ - المبارك بن محمد بن يحيى بن علي بن المسلم (ت580هـ).
٣ - إسماعيل بن محمد بن يحيى بن علي بن المسلم (ت ؟).
٤ - عبدالله بن محمد بن يحيى بن علي بن المسلم (ت ؟) .
٥ - عثمان بن محمد بن يحيى بن علي بن المسلم (ت ؟).
٦ - عمر بن محمد بن يحيى بن علي بن المسلم (ت603هـ)
٧ - يحيى بن المبارك بن محمد بن يحيى بن علي (ت 606هـ)
٨ - الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى بن علي (ت629هـ).
٩ - الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى بن علي (ت631هـ)
١٠ - عائشة بنت إسماعيل بن محمد بن يحيى بن علي (ت614هـ)
١١ - عبدالرحمن بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن علي (ت620هـ)
١٢ - هاجر بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن علي (ت622هـ).
١٣ - محمد بن عثمان بن محمد بن يحيى بن علي (ت 608هـ)
١٤ - عبدالعزيز بن يحيى بن المبارك بن محمد بن يحيى (ت649هـ)

١٥ - احمد بن يحيى بن المبارك بن محمد بن يحيى (ت ح 630هـ)
١٦ - محمد بن يحيى بن المبارك بن محمد بن يحيى (ت 630هـ)
١٧ - إسماعيل بن الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى (ت ح 650هـ)
١٨ - عمر بن الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى (ت بعد 650هـ)
١٩ - احمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل بن محمد بن يحيى (ت 636هـ)
٢٠ - إسماعيل بن عبدالرحمن بن إسماعيل بن محمد بن يحيى (ت640هـ)
٢١ - احمد بن محمد بن يحيى بن المبارك بن محمد (ت ؟)
٢٢ - إسماعيل بن محمد بن يحيى بن المبارك بن محمد (ت ؟)
٢٣ - إبراهيم بن احمد بن محمد بن يحيى بن المبارك (ت بعد 660هـ)

الثاني: راوي صحيح البخاري: حياته ومؤلفاته:

هو سراج الدين أبو عبدالله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى القرشي الربعي اليمني الزبيدي ثم البغدادي (15)

مولده في سنة ست وأربعين وخمس مئة .

سمع من جده ابي عبدالله محمد بن يحيى بن علي بن المسلم الزبيدي ، وأبي الوقت عبدالاول بن عيسى السجزي (ت 553هـ) وأبي جعفر محمد بن محمد الطائي (ت555هـ) وأبي حامد محمد بن عبدالرحيم الغرناطي (ت 565 هـ) وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي (ت 566هـ) وأبي زيد جعفر بن زيد الحموي (ت554هـ) وغيرهم . وأجاز له أبو علي احمد بن احمد الخراز (ت 552هـ) . وكان فقيها فاضلا دينا خيرا ، حسن الأخلاق ، متواضعا درس بمدرسة الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة(560هـ) . وحدث ببغداد ودمشق وحلب .

قال المنذري : " ولنا منه إجازة ، كتب بها الينا من بغداد غير مرة ، منها ما هو في سنة إحدى وعشرين وستمائة . وكان فقيها حافظا " (16) .

وقال ابن رجب : "وتفقه في المذهب ، وأفتى ، ودرس بمدرسة الوزير ابي المظفر بن هبيرة ، وكانت له معرفة حسنة بالأدب ، وخُرِّجت له {مشيخة} وصنف تصانيف منها : (البلغة في الفقه) وله (نظم في اللغة والقراءات) وكان فقيها فاضلا ، دينا خيرا ، حسن الأخلاق ، متواضعا . قرأ عليه عبد الصمد بن ابي الجيش البغدادي (ت676هـ) القرآن بكتاب (السبعة) لأبي الخطاب الصوفي"(17) .

توفي رحمه الله بعد رجوعه من دمشق بأيام متعللا في اليوم الثالث والعشرين من صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة ببغداد ودفن بمقبرة جامع المنصور. (18)

رحلته إلى دمشق ورواية صحيح البخاري:

كان أبو عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي واحدا من ثلاثة علماء تصدروا ببغداد لرواية صحيح البخاري – عن الحافظ المسند ابي الوقت عبدالاول بن عيسى بن شعيب السجزي (ت553هـ) وهم :

١ - أبو عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي (ت631هـ) .
٢ - الشيخ المسند المعمر أبو الحسن علي بن ابي بكر بن روزبه البغدادي القلانسي العطار (ت633هـ) .
٣ - أبو الحسن محمد بن احمد بن عمر بن حسين البغدادي ابن القطيعي (ت634هـ)[19] .

وقد ازدحم الطلبة على هؤلاء الشيوخ الثلاثة لسماع صحيح البخاري وروايته عنهم، أو عن واحد منهم.

وظاهرة ازدحام الطلبة وتكاثرهم يؤكدها الشيخ سيف الدين احمد بن عيسى بن عبدالله المقدسي الدمشقي (ت 643هـ) في رغبته لسماع صحيح البخاري على واحد من هؤلاء الشيوخ الثلاثة فيقول :

" بقي في نفسي عند سفري من بغداد سنة ثلاثين وست مئة أنني أقدم – إلى دمشق – بلا شيخ يروي صحيح البخاري . ثم تذكرت قصة ابن روزبه وسفره سنة ست وست مئة ، وأعطوه خمسين دينارا من عند الملك الصالح الأيوبي عماد الدين أبو الجيش إسماعيل (ت 648هـ) فلما وصل إلى رأس عين فقعد وحدثهم بالصحيح ، ثم أرغبوه في حران فرواه لهم ، ثم بحلب كذلك . وخوفوه من حصار دمشق فرجع إلى بغداد – ولم يصل إلى دمشق – قال : فأتيت ابن روزبه وقد ذاق الكسب فاشتط واشترط أمورا . فكلمنا ابن القطيعي : فاشترط مثل ذلك . فمضيت إلى ابي عبدالله الحسين ابن الزبيدي – وأنا لا اطمع به – فقال : نستخير الله ، ثم قال : لاتعلم أحدا ! وحرضه على التوجه – إلى دمشق – ابنه عمر ، وكان على الشيخ دين نحو سبعين دينارا ، فرافقناه ، فكان خفيف المؤونة ، كثير الاحتمال ، حسن الصحبة ، كثير الذكر ، فنعم الصاحب كان "[20] .

وفرح الملك الاشرف صاحب دمشق بقدومه ، وأخذه إلى عنده في أثناء شهر رمضان من العام (630هـ) وسمع منه الصحيح في أيام معدودة ، وانزله إلى دار الحديث وقد فتحت من نحو شهر ، فاحتشد الناس وازدحموا وسمعوا الكتاب . ثم أخذه أهل الجبل (جبل قاسيون) وسمعوا منه الكتاب ، واشتهر اسمه ورد إلى بلده ، فقدم متعللا .....[21] .

شيوخ الزبيدي لرواية صحيح البخاري :

وكانت رواية صحيح البخاري لأهل دمشق بحق سماع الشيخ الحسين بن المبارك الزبيدي (ت631هـ) من شيخه :

- المسند الجليل ابي الوقت عبدالاول بن عيسى بن شعيب السَّجْزي (ت553هـ) .

- عن شيخه ابي الحسن عبدالرحمن بن محمد بن محمد البُوشَنْجي الداودي (ت467هـ) .
- عن شيخه المسند ابي محمد عبدالله بن احمد بن حمويه السَّرْخَسِي (ت381هـ)
- عن شيخه المسند ابي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفَرَبْري (ت320هـ)
- عن شيخه الأمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح (ت256هـ) [22]

وعند التدقيق في سلسلة الإسناد نجد أن أربعة رجال فقط بين الحسين بن المبارك الزبيدي وبين الإمام البخاري مؤلف الصحيح وهذا إسناد عالٍ جدا قل نظيره في الأسانيد الأخرى .

المحور الثالث : السامعون لصحيح البخاري برواية الزبيدي في بلاد الشام

عند رحلة الشيخ سراج الدين الحسين بن المبارك الزبيدي إلى بلاد الشام سمع منه الطلبة ، وازدحموا عليه واخذوا عنه " صحيح البخاري " وغيره من مروياته . وقد حفلت كتب التراجم والطبقات ومعاجم الشيوخ والمشيخات والبرامج بأسماء الطلبة السامعين لصحيح البخاري برواية الحسين بن المبارك الزبيدي ، وقد وقفت على أكثر من ستين ومئة سامع لصحيح البخاري تراوحت وفياتهم بين سنة 643هـ وهي السنة التي توفي فيها الشيخ العالم ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي ، وهو أول السامعين وفاة ، وسنة 730هـ وهي السنة التي توفي فيها مسند الشام المعمر شهاب الدين احمد بن ابي طالب بن نعمة بن حسن الحجار الصالحي ، المعروف بابن الشحنة ، وهو آخر السامعين وفاة .

وإذا تأملت تاريخ وفاة شهاب الدين الحجار ابن الشحنة سنة 730هـ أدركت أن مئة سنة كاملة بينه وبين سماعه لصحيح البخاري من الحسين الزبيدي في سنة 630هـ بدمشق ، وهذا يدل على ان رواية الزبيدي دامت قرنا كاملا متداولة مشهورة بين العلماء في بلاد الشام للجيل الأول الذي سمعه ، وإذا دققنا النظر في تراجم هؤلاء السامعين ، وجدنا أكثرهم ممن نال سمعة طيبة ، وشهرة واسعة في دنيا العلم والمعرفة . وقد ازدحم عليه الطلبة يسمعون منه ويأخذون عنه ، فضلا عن قيامهم بعدد من الوظائف الجليلة من القضاء والخطابة والوعظ ، والتدريس هذا إلى جانب ما خلفوه من الكتب المفيدة النافعة في شتى العلوم والمعارف .

وقد انتقيت من هؤلاء العلماء الرواة – البالغ عددهم 160 سامعا – ثلاثة رجال تصدروا لرواية صحيح البخاري عن شيخهم ابي عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي ، وكانت إليهم الرحلة لطلب السماع عليهم ، وهم :

الشيخ الأول : العلامة شمس الدين عبدالرحمن بن محمد بن احمد بن محمد بن قدامه المقدسي الصالحي الحنبلي (ت682هـ)[23] .

ولد في محرم الحرام سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدير الحنابلة بالصالحية .

سمع من علماء عصره ، وسمع كثيرا من أبيه(ت 607هـ) ، ومن عمه موفق الدين عبدالله (620هـ) وحنبل بن عبدالله الرصافي (ت604هـ)، وأبي اليمن زيد بن الحسن الكندي(ت 613هـ) ، وأبي المحاسن محمد بن كامل التنوخي الدمشقي (ت 603هـ) ، وأبي عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي(ت 631هـ) ، وموفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادي(ت629هـ) ، وغيرهم .

اقرأ العلم زمانا طويلا، وانتفع به الناس، وانتهت إليه رئاسة المذهب الحنبلي في عصره. وكان معظما عند الخاص والعام . كثير الفضائل والمحاسن، متين الديانة والورع، وهو شيخ الحنابلة وفقيه الشام في وقته.

قال ابن رجب : "وأقرأ الناس على ابي عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي، وجماعة. وعُني بالحديث، وكتب بخطه الأجزاء والطباق..."[24].

ومحاسنه جمة، وفضائله كثيرة، لا تحيط بها هذه السطور.

وكانت وفاته (رحمه الله تعالى) في سلخ شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة.

وقد روى صحيح البخاري بحق سماعه له من الشيخ المسند ابي عبد الله الحسين ابن المبارك الزبيدي في شوال سنة 630 هجرية بجبل قاسيون بدمشق، فسمعه منه جماعة من الطلبة الشاميين والوافدين على دمشق، واستطعت إحصاء ستة وخمسين طالبا ممن سمع عليه صحيح البخاري ورواه عنه فيما بعد حتى امتدت روايته إلى سنة 763هـ، وهي السنة التي توفي فيها الشيخ المسند فتح الدين أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن مروان الفارقي ثم الدمشقي، آخر رواة صحيح البخاري عن شيخه شمس الدين عبدالرحمن بن محمد المقدسي ، فيكون ما بين سماعه لصحيح البخاري من ابي عبدالله الزبيدي ووفاة آخر الرواة عنه في سنة 763هـ ثلاث وثلاثون ومئة سنة.

الثاني : ست الوزراء وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر بن اسعد بن المنجى ابن ابي البركات التنوخية الدمشقية ، أم محمد (ت 716هـ)[25].

ولدت تقريبا سنة أربع وعشرين وست مئة 0

سمعت من والدها الشيخ القاضي شمس الدين عمر بن اسعد التنوخي(ت 641هـ) ومن ابي عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي (ت 631هـ) "صحيح البخاري" و "مسند الشافعي" وكانت آخر من حدث بـ"مسند الشافعي" عن الزبيدي .

حدثت بدمشق ومصر ، وحجت مرتين.

وكانت دينة متزهدة ، حسنة الأخلاق ، روت الكثير وعمرت دهرا .

وكانت طويلة الروح على سماع الحديث ، وقد روت يوم وفاتها (رحمها الله) وهو الثامن عشر من شعبان سنة ست عشرة وسبع مئة .

روى عنها خلق من أعيان دمشق ومصر " صحيح البخاري " بحق سماعها له من الشيخ المسند ابي عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي في شوال سنة 630هـ

بدمشق ، وقد أحصيت ثمانية وسبعين طالبا ممن سمع عليها صحيح البخاري ورواه عنها فيما بعد حتى امتدت روايتها إلى سنة 803هـ وهي السنة التي توفيت فيها الشيخة الصالحة المحدثة فاطمة بنت محمد بن احمد بن محمد بن عثمان بن المنجى الدمشقية . فيكون ما بين سماعها لصحيح البخاري من الزبيدي ووفاة آخر الرواة عنها في سنة 803هـ ثلاث وسبعون ومئة سنة .

الثالث : شهاب الدين أبو العباس احمد بن ابي طالب بن نعمة بن حسن بن علي الصالحي الحجار المعروف بابن الشحنة (ت 730هـ)[26] .

مولده تقريبا سنة أربع وعشرين وست مئة .

سمع من ابي عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي(ت 631هـ) ، وأبي المنجى عبدالله بن عمر بن علي ابن اللتي الحريمي القزاز (ت 635هـ) والمسند جعفر بن علي بن هبة الله بن جعفر الهمداني الاسكندراني (ت 636هـ) حتى الحق الأحفاد بالأجداد .

وجد اسمه في أجزاء على عبدالله ابن اللتي ، ثم ظهر اسمه في أسماء السامعين على ابي عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي فحدث بالصحيح في سنة ست وسبع مئة .

وقد روى " صحيح البخاري" إلى آخر سنة ست وعشرين وسبع مئة أزيد من ستين مرة ، واليه المنتهى في الثبات وعدم النعاس ، وربما اسمع في بعض الأيام من بكرة إلى المغرب . وكان أميا لايكتب ولا يقرأ .

وقد حدث بالصحيح بمصر وحماة وحمص وبعلبك ودمشق وغيرها وكان يُعْطَى على تسميع الصحيح من خمسين درهما إلى المئة ، وحصل له في سفراته ذهب كثير وخلع وإكرام زائد .

وقد شرع الشيخ محب الدين المقدسي الصالحي (ت 776هـ) في قراءة "الصحيح" عليه قبل موته بيوم ، ثم قرأ عليه الميعاد الثاني – يوم وفاته – إلى الظهر ، فمات قرب العصر في الخامس والعشرين من صفر سنة ثلاثين وسبع مئة (رحمه الله تعالى) .

وقد روى " الصحيح " مرات متعددة زادت على ستين مرة ، وقيل : سبعين مرة من يوم ظهر اسمه للسامعين له على الزبيدي .

وقد سمعه منه جمع غفير لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وقد استطعت معرفة أسماء جماعة منهم بلغوا أربعة وتسعين ومئة راويا . امتدت روايته إلى سنة ست وثمان مئة(806هـ) وهي السنة التي توفي فيها الشيخ الصالح المحدث إبراهيم بن محمد بن صديق بن إبراهيم الصوفي،آخر الرواة عنه وفاة.

فيكون ما بين سماع الحجار لصحيح البخاري من ابي عبدالله الزبيدي في شوال سنة 630هـ ووفاة آخر الرواة عنه في سنة 806هـ ست وسبعون ومئة سنة.

الخاتمة:

من دراسة تراجم هؤلاء الإعلام دراسة متأنية ، نجد أن عددا كبيرا من طلبة العلم قد اخذوا عن كل واحد من هؤلاء ، وربما اشترك جماعة من الطلبة في وقت واحد ومكان واحد في السماع على مجموعة من هؤلاء العلماء ، وحسبك من شيخ مسند ، وعالم جليل مثل ابي عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي الذي اشتهر برواية (صحيح البخاري) عن ابي الوقت السجزي ، وقد سمع منه (164 أربعة وستون ومئة طالب) من أرجاء البلاد العربية الإسلامية ، وانتشروا في طول البلاد وعرضها ، واسمعوا الناس رواية (صحيح البخاري) عنه ، واسمع هؤلاء الطلبة (صحيح البخاري) لطلابهم ، وهكذا في كل جيل ، لعلمنا أن آلافا مؤلفة من الرواة كان لهم شرف رواية (صحيح البخاري) عن الحسين بن المبارك الزبيدي .

وقد قدمت دليلا على كثرة الرواية عنه من ثلاثة طلاب من طلابه وهم:
الشيخ شمس الدين المقدسي (ت 682هـ) وقد أحصيت له (56 ستة وخمسين راويا). والشيخة الصالحة ست الوزراء وزيرة (ت 716هـ) وكان لها (78 ثمانية وسبعون راويا) .

والشيخ شهاب الدين احمد بن الشحنة الحجار (ت 730هـ) وكان له (194 أربعة وتسعون ومئة راويا) .

أيقنت أن هذا العدد الكبير من الرواة في أواخر القرن السابع الهجري ، والقرن الثامن الهجري بكامله سيتضاعف إلى عشرات الألوف من الرواة لصحيح البخاري عن الحسين بن المبارك الزبيدي ولا سيما في تلك القرون التي لم تظهر فيها المدارس الحديثة ، وربما تكون الطريقة العربية الإسلامية سائدة إلى ألان في بعض المجتمعات الإسلامية المحافظة على خصوصيتها على الرغم من انتشار المدارس الحديثة والكليات والجامعات .

وهذا بلاشك يدل على الأثر العلمي البارز لأسرة آل الزبيدي اليمني التي أسهمت إسهاما كبيرا في نشر العلم والمعرفة بعد استقرارها في بغداد واستمرت منها ستة أجيال في عطاء علمي دائم .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر المنتجبين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

الهوامش:

١ - ترجمته في : تاريخ بغداد : 4/2-33 ، واللباب : 1/ 125 ، ووفيات الأعيان : 4/ 188-191 ، وتذكرة الحفاظ : 2/ 555- 557 ، وسير أعلام النبلاء : 12/ 391- 471 ، والوافي بالوفيات : 2/ 206- 209 ، وطبقات الشافعية للسبكي : 2/ 212- 241 ، والبداية والنهاية : 11/24- 26 ، وتهذيب التهذيب : 9/47- 55 ، والنجوم الزاهرة :3/ 25 ، وطبقات الحفاظ : 248- 249 ، وشذرات الذهب :2/ 134- 136.

٢ - أصول الحديث : 312- 313 .

٣ - مقدمة علوم الحديث : 15 .

٤ - تاريخ بغداد : 13/ 101 .

٥ - تاريخ التراث العربي :1/ 353 .

٦ - صحيح البخاري: المقدمة 8/1.

٧ - المصدر نفسه .

٨ - أصول الحديث : 312- 313 .

٩ - مباحث في علوم الحديث : 120- 121 ، وأصول الحديث : 317 .

١٠ أصول الحديث : 313 .

١١ علوم الحديث ونصوص من الأثر : 28 .

١٢ مباحث في علوم الحديث : 118 . وينظر : تاريخ التراث العربي : 1/ 312- 331 حيث ذكر له ستة وخمسين شرحا .

١٣ المنتظم: 10/ 198، وسير أعلام النبلاء: 20/ 317.

١٤ المصدران نفسهما .

١٥ ترجمته في : إكمال الإكمال : 1/الورقة 216 ، والتكملة لوفيات النقلة : 3/ 361 ، وتاريخ الإسلام – الطبعة الرابعة والستون – 46- 49 ،وسير أعلام النبلاء : 22/ 357-359 ، والمختصر المحتاج إليه : 2/44- 45 ، والجواهر المضية : 1/ 216 ، والذيل على طبقات الحنابلة : 2/ 188- 189 ، وذيل التقييد : 1/ 517- 518 ، والنجوم الزاهرة :6/ 286 ،وشذرات الذهب :5/ 144 ، وتاج العروس :8/ 135 .

١٦ التكملة لوفيات النقلة :3/ 361 .

١٧ الذيل على طبقات الحنابلة :2/ 188 .

١٨ تاريخ الإسلام – الطبقة الرابعة والستون – 49 ، وسير أعلام النبلاء: 22/ 359 .

١٩ المصدران نفسهما .

٢٠ سير أعلام النبلاء :22/ 359 .

٢١ تاريخ الإسلام –الطبقة الرابعة والستون – 47- 49،وسير أعلام النبلاء : 22/ 358-359 .

٢٢ المصدران نفسهما .

٢٣ ترجمته في : معجم شيوخ الذهبي : 1/ 375- 376 ، والمعجم المختص بالمحدثين : 138- 139 ، والبداية والنهاية : 13/ 302 ، والذيل على طبقات الحنابلة : 2/ 304-310 ، وذيل التقييد : 2/95- 96 ، وشذرات الذهب :5/ 376.

٢٤ الذيل على طبقات الحنابلة :2/ 304- 305 .

٢٥ ترجمتها في: معجم شيوخ الذهبي: 1/ 292- 293،ومنتخب معجم شيوخ ابن رافع، الترجمة 95،والذيل على طبقات الحنابلة:(الملحق) 2/ 429،والدرر الكامنة: 2/ 223-224.

٢٦ ترجمته في: ذيل العبر للذهبي: 164- 165، ومعجم شيوخ الذهبي: 1/ 118- 120، والبداية والنهاية: 14/ 150، وذيل التقييد: 1/ 317- 318، والدرر الكامنة: 1/ 152-153.

المصـادر والمراجـع:

١ ـأصول الحديث، علومه ومصطلحه، للدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكرـ بيروت، 1971م.
٢ ـإكمال الإكمال، لأبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة (ت 629هـ) نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق.
٣ ـالبداية والنهاية، لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، مطبعة السعادةـ القاهرة، (لا.ت).
٤ ـتاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد المرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، المطبعة الخيريةـ القاهرة، 1890م).
٥ ـتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ) تحقيق الدكتور بشار عواد معروف والشيخ شعيب الارناؤوط والدكتور صالح مهدي عباس، الطبعة الرابعة والستون، مؤسسة الرسالةـ بيروت، 1988م.
٦ ـتاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) مكتبة الخانجي – القاهرة ، 1931م .
٧ ـتاريخ التراث العربي ، للأستاذ الدكتور فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية الدكتور فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للتأليف – القاهرة ، 1971م .
٨ ـتذكرة الحفاظ ، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد الدين الهند ، 1955 – 1958م .
٩ ـالتكملة لوفيات النقلة ، لزكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت 656 هـ) تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1981م .
١٠ ـتهذيب التهذيب ، لشهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن الهند ، 1327 هـ .
١١ ـالجواهر المضنية في طبقات الحنفية، لمحي الدين عبد القادر بن محمد القرشي (ت 775هـ)، دار المعارف العثمانيةـ حيدر آباد الدكن الهند، 1332هـ.
١٢ ـالدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لشهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدنيـ القاهرة، 1385هـ.
١٣ ـذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، للعلامة تقي الدين محمد بن احمد الفاسي المكي (832هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميةـ بيروت، 1410/ 1990م.
١٤ ـذيل العبر للذهبي، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويتـ الكويت، 1970م.
١٥ ـالذيل على طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن احمد البغدادي المعروف بابن رجب (ت 795هـ) باعتناء محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمديةـ القاهرة، 1372هـ/ 1952م.
١٦ ـسير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، المجلد الثاني عشر، تحقيق صالح السمر. مؤسسة الرسالة، 1983م،
المجلد الثاني والعشرون، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف والدكتور محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالةـ بيروت، 1985م.
١٧ ـشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن احمد بن العماد الحنبلي (1089هـ)، القاهرة، 1350هـ.

١٨ -صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لا.ت.
١٩ -طبقات الحفاظ، لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى- القاهرة، 1973م.
٢٠ -طبقات الشافعية، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت 771هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة، 1976م.
٢١ -علوم الحديث ونصوص من الأثر، للدكتور رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري وكاظم فتحي الراوي، مطبعة جامعة بغداد- بغداد، 1980م.
٢٢ -اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين علي بن محمد ابن الأثير الجزري (ت 630هـ)، مكتبة القدسي- القاهرة، 1930- 1950م.
٢٣ -مباحث في علوم الحديث، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين- بيروت، 1971م.
٢٤ -المختصر المحتاج أليه من تاريخ ابن الدبيني، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي- بغداد، 1951- 1977م.
٢٥ -معجم شيوخ الذهبي، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق- مكة المكرمة، 1989م.
٢٦ -المعجم المختص بمحدّثي العصر، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق- مكة المكرمة، 1988م.
٢٧ -مقدمة علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت 643هـ)، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية- المدينة المنورة، 1972م.
٢٨ -منتخب معجم شيوخ ابن رافع، لتقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت 774هـ)، نسختي المصورة وقد حققته.
٢٩ -المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لجمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت 597هـ)، دائرة المعارف العثمانية- الهند، 1372هـ.
٣٠ -النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت 874هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة، 1963م.
٣١ -الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت 764هـ)، منشورات جمعية المستشرقين الالمانية، دار صادر- بيروت، 1964م.